

5- المحاضرة الخامسة: مصادر السير والتراجم.

النص الأدبي يرتبط ارتباطاً كبيراً بصاحبه، والمؤلف بدوره مرآة عاكسة لعصره، لذا وجب علينا أن ندرك المؤثرات الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي أحاطت بحياته وكونت فكره ووجدانه، ثم نلم أيضاً بالتجارب الشخصية و على من تتلمذ وبمن اتصل وأين عاش وتنقل، كل هذا عامل مهم في فهمنا النص الأدبي وإدراك الموقف النفسي للأديب.

وكتب التراجم والسير تختلف مضمونها ومنهجاً فمنها ما اقتصرت عنايته بفئة معينة كان يقتصر على الترجمة لفئة الشعراء أو الكتاب أو النحويين أو القضاة أو الوزراء، أو الأطباء، ومنها ما اقتصر على الترجمة لأعيان بلد معين دون تحديد لفئة معينة من أعلام هذا البلد أو ذاك، ومنها ما اقتصر على فترة محددة من الزمن كان يختص بالأعلام في شتى المجالات الذين عاشوا خلال القرن الثامن أو التاسع...، ونحن اليوم نهتم بمصادر السير والتراجم المتعلقة بالأدباء واللغويين.

1- كتاب طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي:

إن كتاب طبقات الشعراء لابن سلام يجعل الدارس متردداً في تصنيفه إذ يمكن أن يعد من المصادر الأولى في النقد الأدبي العربي ويمكن أن نعهده أحد كتب التراجم عن الشعراء وأخبارهم.

المؤلف: هو محمد بن سلام الجمحي، الأخبار قليلة في شأنه كونه كتب مؤلفاً واحداً ولم تصلنا حوله معلومات من كتب أخرى، فلا نستطيع التأكد من مولده ولكنه عاش مائة عام على أنه ولد في النصف الأول من القرن الثاني الهجري وتلمذ على علماء وقته من النحويين واللغويين والمحدثين واتصل بالأدب والأدباء، حتى احتل مكانة كبيرة بين المحدثين واللغويين ونقاد الأدب، فجمع الحديث النبوي الشريف ورواه، وألف كتاباً في

غريب القرآن الكريم، وجمع الشعر وأصبح له راويًا ثم كانت له نزعة نقدية عميقة، وذوق أدبي رفيع وتوفي عام 231هـ.

الكتاب: "طبقات فحول الشعراء" أو "طبقات الشعراء" يتميز بمقدمة تعتبر الوثيقة الأولى في تاريخ النقد الأدبي عند العرب وأثار ابن سلام في هذه المقدمة النقدية لكتابه قضية خطيرة شغلت الدارسين من بعده وبخاصة في العصر الحديث، وهي قضية الوضع والانتحال في الشعر الجاهلي، فقد ظل الشعر الجاهلي وصدر الإسلام يروى شفاهة لفترة طويلة قبل أن يجمع ويدوّن، ونتج عن ذلك الوضع والانتحال، كأن ينسب الرواة أبياتًا أو قصائد لأكثر من شاعر، أو تجد إحدى القبائل موروثها الشعري قليلًا فتزيد فيه.

وقد جعل ابن سلام من مهام الناقد الأدبي القدرة على التحقق من نسبة الشعر إلى قائله والقدرة على نسبة الشعر إلى العصر الذي قيل فيه.

ومعايير التصنيف عنده للشعر والشعراء هي: الجودة والكم وتنوع الأغراض التي عالجها الشاعر في شعره.

القسم الثاني من الكتاب جامعًا لسير الشعراء وتراجمهم وأخبارهم وآراء النقاد فيهم وأمثلة من أشعارهم مما يعين كثيرًا في إلقاء الضوء على الشاعر وشعره.

ويقسم ابن سلام الشعراء إلى ثلاثة فئات: الشعراء الجاهليين والمخضرمين الذين عاشوا بين الجاهلية والإسلام والشعراء المسلمين.

ثم يقسم شعراء كل فئة إلى طبقات: فجعل شعراء الجاهلية في عشر طبقات في كل طبقة أربعة شعراء، وفعل الأمر نفسه في تصنيفه للشعراء المسلمين.

مأخذ على تصنيف ابن سلام: أنه التزم عددًا ثابتًا في تصنيفه للشعراء في طبقات، فطبقات الشعراء الجاهليين عشرة والمسلمين عشرة، والتزم العدد أربعة في كل طبقة.

لم يلتزم معيارًا واحدًا في تقسيمه للطبقات، فأحيانًا يطبق المعايير الفنية من حيث الجودة والكم وتنوع الأغراض وأحيانًا يستخدم معيارًا مكانيًا فيجعل شعراء الحواضر أي

المدن في طبقة، وأحياناً يلجأ إلى معيار العقيدة فيخص شعراء اليهود بطبقة أو فنا من الفنون الشعرية بطبقة.

ولم يكن دقيقاً في مصطلحاته النقدية فهو يستخدم عبارات تتسم بالعمومية دون تحديد لدلالاتها النقدية مثل: فاخر الكلام، فصيح اللسان، حلو الشعر،...

وقد طبع الكتاب طبعة محققة بالقاهرة سنة: 1952م ضمن سلسلة ذخائر العرب. من كتاب طبقات الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي (مع مقدمة تحليلية للكتاب، ودراسة نقدية منذ الجاهلية إلى عصر ابن سلام، بقلم: عبد الحميد فايد، دار النهضة العربية، بيروت.

2- كتاب بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي:

مثلما اهتم كتاب السير والتراجم بفئة الشعراء والأدباء وخصوصهم بالمؤلفات كان لفئة اللغويين والنحويين نصيب أيضاً من هذا الاهتمام.

منهم السيوطي الذي يعرف نفسه فيقول: «كان مولدي بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة: 849 هـ، ونشأت يتيماً فحفظت القرآن ولي دون ثمان سنين، ثم حفظت "العمدة" و"منهاج الفقه" و"الأصول" و"ألفية ابن مالك" وشرعت في الاشتغال بالعلم فأخذت الفقه، والنحو والفرائض ودرست العربية... وبلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلاثمائة كتاب، ورزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو، والمعاني والبيان والبدیع» من كتابه "حسن المحاضرة"، وتوفي سنة: 911 هـ.

وكتابه "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة" هو أشمل سجل لهذه الفئة من علماء العربية في النحو واللغة منذ بداية التفكير اللغوي والنحوي عند العرب وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، واعتمد على الكتب التي سبقته والتي ترجمت للغويين والنحويين قبله.

رتب السيوطي النحاة واللغويين على حروف المعجم بادئا بمن اسمه محمد ثم من اسمه أحمد تبرّكا ثم عاد إلى ترتيب حروف المعجم، ويشتمل الكتاب على 2209 ترجمة للنحويين واللغويين، وبذلك يعد أكبر كتاب يصلنا في موضوعه.

وقد صدرت طبعة للكتاب محققة ومفهرسة بعناية الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم بالقاهرة سنة: 1966م في مجلدين.

من كتاب : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.